الدلالات الزمنية للفعلين الماضي والمضارع في حاشية عبد الحكيم السيالكوتي على تفسير البيضاوي دراسة تحليلية دلالية

The Temporal Significance of The Past and Present Tense in Hashia of Tafseer Ul Bedhawi by Abd Ul Hakeem Siyalkoti (Semantic & Analytical Study)

Rabia Faiz
PhD Scholar, Faculty of Arabic
International Islamic University Islamabad
Email: rabia.phd200@iiu.edu.pk
Dr. Bushra Shahzadi
Assistant Professor, Faculty of Arabic
International Islamic University Islamabad
Email: bushra.phd190@iiu.edu.pk

Abstract
The research aims to study the temporal significance of the past and present tense "in Hashia of Tafseer ul Bedhawi by Abd ul Hakeem Siyalkoti". It is represented in explaining the temporal significance of the past tense and the present tense. The research aims to answer questions about the corresponding and opposite temporal significance in Hatioia's" interpretation of the past and present tense. The research follows the semantic analytical approach. The research is divided into three sections: the first includes the definition of significance, the definition of temporal significance, the definition of two verbs: past and present, the introduction to the Hatioia, and the introduction to Abd ul Hakeem Siyalkoti. The second section includes the temporal significance of the past verb according to Abd ul Hameem Siyalkoti in his Hatioia, and the third deals with the temporal significance of the present tense verb, and the research is conducted with useful results such as knowing the extent of the importance of temporal significance according to Abd ul Hameem Siyalkoti.

Keywords: Temporal connotation, Past & Present tense verb, Hashia of Tafseer ul Bedhawi**,** Abd ul Hakeem Siyalkoti

ملخص البحث

دراسة الفعل من الدراسات الأساسية للغة العربية، التي اهتم بها علماء اللغة العربية، ولم يهملها علماء التفسير أثناء دراسة لغة القرآن الكريم للوصول إلى معانيها، ومنهم: الشيخ عبد الحكيم السيالكوتي، الذي ركز في حاشيته على تفسير الإمام البيضاوي على دراسة الفعلين الماضي والمضارع، ودلالاتهما.

يهدف هذا البحث إلى دراسة الدلالة الزمنية للفعلين الماضي والمضارع عند الشيخ عبد الحكيم السيالكوتي في حاشيته على تفسير الإمام البيضاوي.

يقسم البحث في ثلاثة مباحث، وخاتمة:

أولها– يشمل التعريف بالدلالة، والتعريف بالدلالة الزمنية، والتعريف بالفعلين: الماضي والمضارع، والتعريف بِالشيخ "عبد الحكيم السيالكوتي".

وثانيها– يتناول الدلالة الزمنية للفعل الماضي عند الشيخ عبد الحكيم السيالكوتي في حاشيته على تفسير الإمام البيضاوي.

وثالثها– يتناول الدلالة الزمنية للفعل المضارع عند الشيخ عبد الحكيم السيالكوتي في حاشيته على تفسير الإمام البيضاوي.

الخاتمة: وفيها نتائج البحث، والتوصيات، وفهرس المصادر والمراجع.

كلمات مفتاحية: الدلالة الزمنية، الفعل الماضي والمضارع، عبد الحكيم السيالكوتي، حاشيته على تفسير البيضاوي.

المقدمة

الحمد لله الذي علّم بالقلم، علّم الإنسان ما لم يعلم، خلق الإنسان، علّمه البيان، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وعلى آله وصحبه، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعد:

ظلت اللغة العربية لغة ديننا الحنيف، لذلك ينبغي على كلّ مسلم أن يدرسها، ويتفحص ما بداخلها من القضايا اللغوية، فإننا لا نستطيع فهم القرآن الكريم إلا إذا فهمنا اللغة التي نزل بها وصياغتها، ومن هنا تتحقق المحافظة على اللغة العربية، وهذا ضروريٌ لفهم ألفاظ وصيغ القرآن الكريم وما فيها من أسرار، وقد فطن علماؤنا المتقدمون لهذه الحقيقة، فخلّفوا لنا تراثا حافلا بالمباحث اللغوية القيمة، ومنها الدراسات الصرفية، التي هي في حاجة للدراسة والتمحيص؛ للإفادة منها.

التعريف بالموضوع وأهميته:

من أبرز كتب التراث التي زخرت بالدراسات اللغوية القيمة كتب التفسير، فقد عرض المفسرون في كتبهم كثيرا من الظواهر اللغوية في مستويات اللغة المختلفة: الصوتية والصرفية والنحوية

والدلالية. ولقد اهتم المفسرون عند تفسيرهم للقرآن الكريم بإبراز الجوانب النحوية والصرفية فيه، ومن هؤلاء المفسرين والأئمة: جار الله الزمخشري في"الكشّاف"، وابن عطية في "المحرر الوجيز"، وأبو حيّان في "البحر المحيط"، والبيضاوي في "أنوار التنزيل وأسرار التأويل" المشهور بتفسير البيضاوي، وقد كُتبتْ حواشٍ كثيرة على التفاسير، ومنها هذه الحاشية للشيخ عبد الحكيم السيالكوتي على تفسير الإمام البيضاوي، التي اخترتها لدراستي، فهي حاشية مليئة بالقضايا والتوجيهات اللغوية والتعليقات، بلغتْ درجة علمية عظيمة بين الحواشي التي كُتبت في شبه القارة الهندية، وقد اخترت في هذا البحث للبحث والدراسة قضية دلالات الفعلين: الماضي والمضارع، واخترت التوجيهات الصرفية، لنعلم أن "الصرف" هو العلم الذي يحتاج إليه أهل اللغة جميعاً؛ وهم في أمسّ الحاجة إليه؛ لأنه ميزان العربية. والموضوع هو: "الدلالات الزمنية للفعلين: الماضي والمضارع في حاشية عبد الحكيم السيالكوتي على تفسير البيضاوي".

أسباب اختيار الموضوع:

1. اخترت دراسة الفعلين ودلالاتهما؛ نظرا إلى أهمية الفعل في اللغة العربية، وتشعّبه، وكثرة مباحثه.
2. دراسة الفعلين الماضي والمضارع ودلالاتهما توقفنا على أهمية الدلالات الزمنية في القرآن المجيد.
3. حازت هذه الحاشية شهرة عظيمة بين الحواشي التي كتبت في شبه القارة الهندية؛ وأرجو أن أبرز أهمية هذه الحاشية لدارسي اللغة العربية بواسطة هذا البحث؛ لأن هذه الحاشية من كتب التراث التي تحتاج إلى الدراسة والبحث، ووجدت فيها استفسارات متعددة وقيمة.
4. أريد تبيين جهود علماء شبه القارة الهندية، بإبراز المسائل الصرفية في هذه الحاشية.

حدود البحث: الدراسة محددةٌ بدراسة دلالات الفعلين الماضي والمضارع في حاشية الشيخ عبد الحكيم السيالكوتي على تفسير الإمام البيضاوي.

أسئلة البحث: تسعى الدراسة للإجابة عن الأسئلة الآتية:

1. ما حظ دلالة الفعلين: الماضي والمضارع من القضايا الصرفية التي تناولها عبد الحكيم السيالكوتي في حاشيته على تفسير البيضاوي؟

1. ما دلالات الفعلين: الماضي والمضارع عنده في حاشيته على تفسير البيضاوي؟

2. ما أصول ترجيح الدلالة الزمنية عند عبد الحكيم السيالكوتي في حاشيته على تفسير البيضاوي؟

منهج البحث: اعتمدت في هذا البحث على المنهج الوصفي بأداتيه الإحصاء والتحليل الذي يقوم على جمع الأفعال الماضية والمضارعة، ثم تصنيفها، ودراستها دراسة تحليلية، للوقوف على الدلالات الزمنية، اعتماداً على كتب التفسير المختلفة.

خطة البحث: يشتمل البحث على ملخص البحث، والمقدمة، وثلاثة مباحث:

المبحث الأول: المبحث التعريفي، ويشمل التعريف بالدلالة، والتعريف بالزمن، والتعريف بالفعلين: الماضي والمضارع، والتعريف بعبد الحكيم السيالكوتي، وحاشيته على تفسير البيضاوي.

المبحث الثاني: يتناول الدلالة الزمنية للفعل الماضي عند عبد الحكيم السيالكوتي في حاشيته على تفسير البيضاوي.

المبحث الثالث: يتناول الدلالة الزمنية للفعل المضارع عند عبد الحكيم السيالكوتي في حاشيته على تفسير البيضاوي.

خاتمة البحث: وتشمل النتائج، والتوصيات، وفهرس المصادر والمراجع.

المبحث الأول: المبحث التعريفي، ويشتمل على ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: التعريف بالدلالة الزمنية

يعرف ابن جني (ت 392هـ) الدلالة الزمنية مطلقا عليها اسم (الدلالة الصناعية) في كتابه "الخصائص" في باب الدلالة اللفظية والصناعية والمعنوية، بقوله: "اعلم أن كل واحدٍ من هذه الدلائل معتدٌّ مراعىً مؤثرٌ، إلا أنها في القوة والضعف على ثلاث مراتب، فأقواهن: الدلالة اللفظية، ثم تليها الصناعية، ثم تليها المعنوية، ولنذكر من ذلك ما يصح به الغرض، فمنه جميع الأفعال، ففي كل واحد منها الأدلة الثلاثة، ألا ترى إلى (قام)، ودلالة لفظه على مصدره، ودلالة بنائه على زمانه، ودلالة معناه على فاعله".[1]

ومن خلال هذا القول يتضح لنا أن الدلالة الزمنية عند ابن جني لا تعدو معنى الزمن الصرفي، ولا تتجاوزه إلى معنى الزمن السياقي، كما هو الحال عليه في الدراسات اللغوية الحديثة، "وإذا كان النحو هو نظام العلاقات في السياق، فمجال النظر في الزمن النحوي هو السياق، وليس الصيغة المنعزلة، وحيث يكون الصرف هو نظام المباني والصيغ، يكون الزمن الصرفي قاصرًا على معنى الصيغة، يبدأ بها وينتهي بها، ولا يكون لها عندما تدخل في علاقات السياق. فلا مفرَّ إذًا من النظر إلى الزمن في السياق نظرة تختلف عمَّا يكون للزمن في الصيغة؛ لأن معنى الزمن النحوي يختلف عن معنى الزمن الصرفي من حيث إنَّ الزمن الصرفي وظيفة الصيغة، وإن الزمن النحوي وظيفة السياق، تحددها الضمائر والقرائن".[2]

المطلب الثاني: التعريف بالفعلين: الفعل الماضي والفعل المضارع، ودلالاتهما الزمنية

الفعل الماضي: هو ما دل على وقوع الحدث قبل زمن المتكلم، وهو مبنيٌّ دائماً، حيث يُبنى على الفتح إذا لم يتصل به شيء، أو اتصلتْ به تاء التأنيث أو ألف الاثنين، ويُبنى على الضم إذا اتصلت به واو الجماعة، ويُبنى على السكون إذا اتصل به ضميرٌ من ضمائر الرفع المتحركة.[3]

فهو يفيد وقوع الحدث أو حدوثه مطلقا، ويدل على التحقيق، لانقطاع الزمن في الحال؛ لأنه دل على حدوث شيء قبل زمن التكلم، نحو: قام، جلس، قرأ.[4]

الدلالة الزمنية للفعل الماضي: في الأصل تدلّ الأفعال على أزمنتها التي وُضعت لها، وهذه الدلالة تكون من أصل الوضع، وهو ما يُعلم بالزمن الصرفي للفعل.[5]

وأما من حيث الاستخدام فيأتي الفعل الماضي وهو للمضارع، أو يأتي بدلالة الحال وهو ماضٍ. وهذه الدلالة التي تتحول إلى غير زمنها تكون حسب السياق والقرائن التي تساعد على تعيين الدلالة الزمنية للفعل، ويسمى بالزمن النحوي أو السياقي.[6]

وقد تتمثل دلالة الماضي إلى الحال أو الاستقبال في مواضع معينة، منها:

1- إذا وقع بعد حرف الشرط "إنْ": وسببه في تحويل الماضي بعد لمعنى الحال والاستقبال أنّ (إنْ) شرطية لالتزام السببية والمسببية في المستقبل، فمثلاً نقول: "إن متَّ على الإسلام دخلت الجنة". فمعناه: إن تمت على الإسلام تدخل الجنة، أي: الإنسان يموت، ثمّ يدخل الجنة. ودخوله الجنةَ يكون في المستقبل.[7]

2- إذا وقع الماضي حالاً، والأصل أن لا يقع الماضي حالاً؛ لأن زمانه قد مضى، وعند البصريين الفعل الماضي لا يكون حالاً إلاّ بـ "قد" ظاهرة أو مضمرة، مثل: جاء زيد ركب. ولأن الحال يكون مقارنة أو منتظرة، فقد يجعل الفعل قريبا من الحال.

3- إذا وقع الماضي في الدعاء، فإنه يدل على الحال والاستقبال. مثل: غفر الله لك.[8]

4- إذا وقع في العقود، يستعمل الفعل الماضي في عقود البيع والشراء للدلالة على تحقق الأمر، مثل: بعتك، اشتريت منك.

5- إذا وقع الماضي بعد لا في القسم، فإنه يدل على المستقبل، مثل: والله لا فعلت. والمعنى: لا أفعل.[9]

6- إذا عطف الماضي على الحال والاستقبال.[10]

7- أو إذا دلت القرينة أو السياق على انتقال الفعل الماضي عن زمنه.[11]

الفعل المضارع: الفعل المضارع هو ما دل على معنىً في نفسه، مقترنٍ بزمنٍ يحتمل الحال أو الاستقبال، وقد سمي مضارعاً؛ لأنه يضارع اسم الفاعل؛ أي يساويه في عدد الحروف، وعدد الحركات، وعدد السكنات، مثل: يذهب وذاهب، يحكم وحاكم... والفعل المضارع مرفوعٌ إذا لم يسبقه ناصبٌ ولا جازمٌ.[12]

وجاء في شرح الكافية بأن: "المضارع: ما أشبه الاسم، بأحد حروف (نأيت)، لوقوعه مشتركا، وتخصيصه بالسين، فالهمزة للمتكلم مفرداً، والنون له مع غيره، والتاء للمخاطب مطلقاً،

وللمؤنث، والمؤنثتين غيبةً، والياء للغائب غيرهما، وحرف المضارعة مضمومٌ في الرباعي، مفتوحٌ فيما سواه، ولا يُعرب من الفعل غيره، إذا لم يتصل به نون تأكيدٍ ولا نون جمعِ مؤنثٍ".[13]

الدلالة الزمنية للفعل المضارع: اختلف النحاة القدماء في دلالة الفعل المضارع من حيث الزمن، فذهب بعضهم إلى أنه يدل على الحال، وذهب آخرون إلى أنه يدل على الاستقبال. ونقل السيوطي آراء القدماء عن دلالة الفعل المضارع.[14] وهي:

1- أنه يدل على الحال.

2- يدل على الاستقبال.

3- يدل زمنياً على الحال والاستقبال.

4- يدل على الحال حقيقة، وعلى الاستقبال مجازا.

5- يدل على الاستقبال حقيقة، وعلى الحال مجازا.

ومن القرائن اللفظية والأدوات التي تجعل الفعل المضارع يدل على الماضي هي حرف النفي (لم)، فعندما تكون صيغة الفعل (لم يفعل)، فإنه يدل على الماضي المطلق[15]، وذهب بعض النحاة إلى أي أن (لم) حرف نفي وجزم وقلب، فالنفي للمعنى، والجزم الإعراب، والقلب للدلالة الزمنية، فتقلب دلالة الفعل المضارع الأصيلة، والتي هي الحال والاستقبال إلى دلالة الفعل الماضي الزمنية الأصيلة وهي الماضي، أي أن هذه القرينة تقلب زمن الفعل المضارع من الحال أو الاستقبال إلى الزمن الماضي.[16]

والمضارع يدل على الحال أو الاستقبال بأدوات محددة تدخل عليه، فإذا دخلت (السين أو سوف) دلّ على أنّ الفعل المضارع يدلّ على الاستقبال، وكذلك إذا دخلت عليه (لن)، أما إذا دخلت (لام الابتداء) أو (ما) أو (لا) النافيتان دلّ المضارع على الحال، فإذا لم تدخل عليه أية أداة يكون صالحاً للتعبير عن الحال أو الاستقبال.[17]

وقد خرج الفعل الماضي من دلالته الأصلية إلى دلالة الحال أو الاستقبال، كما خرج المضارع من دلالته الأصلية إلى المضيّ في عدة مواضع في تفسير البيضاوي.

المطلب الثالث: التعريف بالسيالكوتي وحاشيته على تفسير الإمام البيضاوي

اسمه: هو عبد الحكيم بن شمس الدين الهندي البنجابي السيالكوتي الحنفي، من أهل سيالكوت.[18]

اسم أبيه: شمس الدين، وكان عالما فاضلا ماهرا في العلوم الدينية والأدبية، كان كشميري الأصل، ولكنه ترك كشمير بسبب بعض المشكلات، وسافر إلى سيالكوت واستوطنها.[19]

لقبه: قد لُقب المؤلف عبد الحكيم بأكثر من لقب، فمن ألقابه التي اشتهر بها:

أ: السيالكوتي، نسبة إلى مدينة سيالكوت.[20]

ب: عمدة العلماء الفناجبة، نسبة إلى الملك الفنجابي وسيع الإدراك.

ج: البدر التام في الشهب الثاقبة.

د: اللاهوري، نسبة إلى مدينة لاهور.[21]

هـ: ويلقب باللبيب، نسبة إلى فطنته وذكائه.[22]

مولده: ولد بسيالكوت، نشأ وتربى وترعرع فيها، ولكن المؤرخين لم يتكلموا عن تاريخ ولادته، سوى بختاور خان فقط الذي ذكر أنه ولد سنة 977م.[23]

ولكن قيل إنه عاش وعمل بالتدريس في عهد السلطان جهانكير، ومن المعلوم أنّ السلطان جهانكير تولّى السلطنة في الهند بعد سنة 1014هـ. ومن هنا نفهم أن ولادته كانت تقريبا في نهاية القرن العاشر وبداية القرن الحادي عشر تقريبا.

حياته: لم نجد ذكره عند مؤرخي عصر السلطان "أكبر"، وربما لم يكن "العلامة" مشهوراً آنذاك، وكان مشغولا بالدرس والتدريس، وفي عهد السلطان جهانكير وصلت شهرته قصر السلطان، ولما تولى عرش السلطنة ابنه شاه جهان، الذي تصدّى لترويج العلم وتقريب العلماء؛ جاء إليه ملّا عبد الحكيم مرارا، وكافأه السلطان مرتين، وأعطاه في كلّ مرّة ستة الآف روبية.[24]

وفاته: توفي الشيخ عبد الحكيم بسيالكوت في 12ربيع الأوّل سنة 1067م، ودفن ببلده.[25]

منصبه ومكانته: كانت لعبد الحكيم منزلة كبيرة عند السلطان نور الدين جهانكير بن السلطان أكبر، وهذه المنزلة جعلته يتولى التدريس والتصنيف، وردّ وإبطال الخرافات التي نشرها السلطان أكبر، وكشف زيف الأباطيل التي لعبت بعقول الناس وحرّفت من معتقداتهم، هذا كلّه لأن السلطان جهانكير كان رجلا سليم العقيدة، سليم الفكر، حسن التصرف،[26] فقد وجد ضالته عند عبد الحكيم السيالكوتي، فقربه إليه ورفع مكانته، وأعلى من شأنه، وقرّبه إليه، وأحبه حبا شديدا، وخصّه بالتكريم والإجلال، فقد كان رئيس العلماء عند السلطان، لا يصدر إلا بعد أخذ رأيه، ولم يبلغ أحد من علماء الهند في وقته ما بلغ هو من الشأن والرفعة.[27]

مذهبه وتصوفه: مذهبه في الفقه حنفي المذهب. أما من حيث الطريقة فقد أخذ الطريقة النقشبندية، عن الشيخ معين الدين النقشبندي الكشميري.[28]

شيوخه: تتلمذ الشيخ عبد الحكيم على مشايخ عصره، وتربى على يد العلامة كمال الدين الكشميري، نزيل كشمير الذي كان أستاذ المجدد السهرنذي، ولازمه وقتا طويلا، والشيخ الكشميري من فحول العلماء، جاء إلى سيالكوت سنة 971هـ، وكان عالما في أربعة علوم، وهي:علم الكلام والمنطق

والفلسفة وأصول الفقه، وكذلك تقدّم الشيخ عبد الحكيم في هذه العلوم، كما تقدّم أستاذه الكشميري، واشتغل بإفادة العلوم في عهد السلطان جهانكير.[29]

تلاميذه: لم نجد في المصادر أسماء تلاميذه إلا اسما واحدا، لازمه وأخذ العلم على يديه، وهو الشيخ عبد الرحيم بن عبد الرشيد البهاري، وهو من العلماء المشهورين في عصره، وقد عاش مع السيالكوتي تسع سنين وبضعة أشهر، ثمّ تولّى منصب القضاء بعد ذلك في مراد آباد.[30]

أولاده: نجد فقط ذكر ابنه عبد الله، وكان لقبه "اللبيب" مثل أبيه، وكان السلطان أورنكزيب يعزّه، وقد طلب منه أن يكتب حاشية على "الهداية"، وهذه الحاشية موجودة ومشهورة، وله أيضا كتب أخرى، مثل:

1: زاد اللبيب في سفر الحبيب.

2: التصريح بغوامض التلويح.[31]

مؤلفاته: كان الشيخ عبد الحكيم يهتم بإلقاء المحاضرات والدروس فقط، ولم تكن شهرته في التأليف والتصنيف، والظاهر أنه وجد مهمة إلقاء الدروس الدينية في المساجد أنفع وأجدى في تلك الفترة من الكتابة والتأليف، ولكن مع ذلك له مؤلفات كثيرة في علوم عديدة، منها:

1: حاشية التصريح بغوامض التلويح شرح التنقيح في الأصول، الكتاب مطبوع طبعة حجرية قديمة في الهند، من دار الإشاعة.

2: حاشية على تفسير البيضاوي (وهذا البحث حولها).

3: حاشية على الكشّاف (غير مطبوعة).

4: حاشية على حاشية عبد الغفور للفوائد الضيائية في النحو[32]، والكتاب مطبوع طبعة حجرية في مطبعة عامرة في أستنبول 1308هـ.

5: حاشية مقامات أربعة تلويح في الأصول.[33]

6: حاشية على الحسامي.

7: حاشية على شرح عقائد للخيالي،[34] والكتاب مطبوع في المطبعة العثمانية سنة 1314هـ / 1896م.

8: حاشية على شرح المواقف.

9: زبدة الأفكار حاشية على شرح عقائد النسفي للتفتازاني[35]، والكتاب مطبوع طبعة حجرية في دهلي، 1327هـ / 1870م، وفي الآستانة عام 1297هـ، وفي القاهرة 1297هـ.

10: حاشية على مير قلبي (غير مطبوعة).

11: حاشية على حاشية مطالع الأنوار.

12: حاشية على قطب على الشمسية[36]، والكتاب مطبوع في مطبعة كردستان العلمية مصر 1327هـ، ومطبوع أيضا في مطبعة قلم في مدينة قم، ط1، 1427هـ / 2007م.

13: تكملة حاشية عبد الغفور على شرح الجامي (في النحو).

14: حاشية على المطوّل (في المعاني)[37]، والكتاب حققه محمد السيد عثمان، وطبع في دار الكتب العلمية بيروت –2012م.

15: ترجمة غنية الطالبين (باللغة الفارسية).

16: حاشية على شرح تصريف العزي السعيد[38]، الكتاب مخطوط.

17: عقائد السيالكوتي[39]، الكتاب مخطوط.

18: حاشية على شرح العقائد العضدية للدواني[40]، والكتاب مطبوع بطبعة حجرية، المطبعة الخيرية في أستنبول 1322هـ / 1904م.

19: الدرة الثمينة في إثبات الواجب تعالى[41]، الكتاب مخطوط.

20: حاشية على الجرجاني في المنطق،[42] والكتاب طبع في القاهرة، 1325هـ/ 1907م، عني بتصحيحه السيد محمد بدر الدين النعساني.

التعريف بكتاب "حاشية السيالكوتي على تفسير البيضاوي":

الحاشية لغة من كلّ شيء: جانبه وطرفه، كما ورد في تهذيب اللغة: "كَذَلِك تَحاشَى من حاشِية الشَّيْء وَهُوَ ناحيته"[43]. وفي معجم الفقهاء: "الحاشية: ج حواشي، جانب الثوب أو غيره، الحاشية على الكتاب: إيضاح شرحه، الحواشي في النسب: غير الأصول والفروع من الأقارب".[44]

وفي معجم اللغة العربية المعاصرة: "الحاشية من كلِّ شيءٍ: جانبه وطرفه. الحاشية: الأهل والخاصّة، البطانة "حاشية الرَّجل/ الملك". حاشية كتابٍ: ما عُلِّق على الكتاب من زيادات وإيضاح، حاشية على هامش نَصٍّ– حاشية في رسالة".[45]

الحاشية في الاصطلاح: قال حاجي خليفة في كشف الظنون: "عبارة عن أطراف الكتاب، ثم صار عبارة عما يكتب فيها، وما يجرد منها بالقول، فيدون تدويناً مستقلاً، ويقال لها: تعليقة أيضاً".[46]

وكان علماؤنا في الأزمان المتأخرة يعمدون إلى أصول العلم فيخدمونها، فنجد أولا: المتن، ثم الشرح، أي: شرح المتن، ثم الحاشية، وهي بمثابة: شرح الشرح، ثم التقرير، وهو بمثابة: شرح الحاشية.[47]

لم يكن الشيخ عبد الحكيم أوّل من حشى على تفسير الإمام البيضاوي، بل تقدّمه كثير من العلماء الذين كتبوا الحواشي والتعليقات على تفسير الإمام البيضاوي، ولكن بلغت حاشية عبد الحكيم السيالكوتي درجة علمية عظمية بين الحواشي التي كتبت في شبه القارة على تفسير الإمام البيضاوي،

لأنّ الشيخ السيالكوتي كان متفننا في أسلوبه، ومتفردا بطرازه، ومتنوعا في منواله في هذا المضمار، في إيجاد الحلول للمشكلات بالإفادات الكاشفات لمغلقات المعاني والكلمات،[48] وهي حاشية على ثلاثة أجزاء إلا الثلث، والجزء المهم في تفسير البيضاوي هو الجزء الذي يتعلق بالسورتين الأوليين، لذلك أراد العلامة أن يكتب حاشيته على هاتين السورتين، ولكنه ما أكمل هذه الحاشية، وكتب حاشية على ثلاثة أجزاء إلا الثلث فقط.

سبب تأليفه "الحاشية":

قال المترجمون له: إن السبب الرئيسي الذي دعا الشيخ عبد الحكيم إلى كتابة الحاشية على تفسير البيضاوي هو أن تفسير البيضاوي كان ضمن منهج الدراسة الدينية آنذاك، وبدأ العلماء يكتبون الحواشي والتعليقات حوله، والعلامة كان مدرسا يدرس للطلاب تفسير البيضاوي، ومن المعروف أن هذا التفسير يشتمل على مسائل دقيقة لا يستطيع كل واحد أن يفهم دقائقه؛ لذا أراد العلامة السيالكوتي أن يكتب حاشية حوله لتوضيح غوامضه، وشرح صعوباته شرحا لغويا نحويا، وأشار إلى هذا فى مقدمته، حين قال: إن التفسير العتيق، والبحر العميق المسمى بـ "أنوار التنزيل" للإمام الهمام قدوة علماء الإسلام سلطان المحققين برهان المدققين القاضي ناصر الدين عبد الله البيضاوي قد استهز العلماء بحل مشكلاته، وأسهر الأذكياء أحداقهم لفتح مغلقاته، إلا أنه لوجازة العبارات واحتوائه على الإشارات جلّ أن يكون شريعة لكل وارد، وأن يطلع عليه إلا واحد بعد واحد.[49]

كان الشيخ عبد الحكيم السيالكوتي عالما كبيرا كثير الاطلاع، قادرا على كشف غوامض هذا الكتاب، رغم أن علماء عصره استصعبوا ذلك، فسألوا العلامة عن غوامض ومغلقات الكتاب، فأجابهم إجابة شافية مقنعة.[50]

وقال في مقدمة حاشيته: "فقلت لهم أيها الخلان الدينية والإخوان الروحانية، إني آنست ناراً بوادي هذا الكتاب، آتيكم منها بقبس لعلكم تصطلون، فاستكشفوا مني بعض مظانّ لبسه، فعرضت لهم ما ورد في خلده عند درسه، من حلٍّ يفيد برد قلب أولي الأبصار، وزياداتٍ وقعت الظفرة عنها".[51] وأشار إلى ذلك فى مقدمة حاشيته قائلاً: "حتى جذب صنيعي، وجمع شتات عمري دولة السلطان أبو المظفر شهاب الدين شاه جهان، وهدت بعين عنايته ملحوظا، وبين أعين الناس مغبوطا، فعيت لي العلل وضاقت عليّ الحيل، فشرعت في جمع ما سمح به خاطري العليل، وذهني الكليل، جاداً في تحقيق معانيه، بائعاً عن رموز مبانيه، موميا فى أثنائه إلى أجوبة شكوك الناظرين، فجاءت بعون الله كنزاً لا يحصى فوائده، وبحراً لا يقصى فرائده".[52]

منهجه:

إن المنهج الذي سلكه عبد الحكيم السيالكوتي في حاشيته منهجٌ بارزٌ واضحٌ، كما يلي:

1: تناول السيالكوتي الألفاظ المستصعبة الواردة في التفسير من الغرائب والمفردات وشرحها شرحاً كاملاً.

2: قام بتصريح الجمل المشكلة، وحلّ الغوامض ما تقتضي بالحلول من الجانب الأدبي، محيطاً بجميع الجوانب الأدبية إحاطةً بسلاسة اللسان وفصاحة البيان، ما لم يقدر عليه أحد، إلا من له خبرةٌ تامةٌ باللغة العربية.

3: يذكر عبارة الإمام البيضاوي بين القوسين، ثم يشرحها، ولا ينقل العبارة كلها، بل ينقل العبارة التي يريد شرحها.

4: يهتم بالمسائل النحوية واللغوية والصرفية، ويناقش آراء العلماء المختلفة، فيختار رأياً، ويدلل على صحته، وكثيراً ما يقف إلى جانب مذهب سيبويه، ويدافع عن اختياراته وترجيحاته، وهذا يدلّ على تمكّنه بعلم النحو واللغة والصرف.

5: يوضح الكلمات المجملة.

6: يذكر إسناد الأحاديث التي تركها الإمام البيضاوي.

7: يذكر متون الأحاديث التي ذكرها الإمام البيضاوي مختصرةً.

8:كان الشيخ عبد الحكيم السيالكوتي حنفي المذهب، و الإمام البيضاوي شافعي المذهب، فدافع السيالكوتي عن دلائل الحنفية.

المبحث الثاني: الفعل الماضي ودلالاته في حاشية السيالكوتي على تفسير البيضاوي

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: دلالة الماضي على الحال والاستقبال:

ذكرنا فيما سبق أن الفعل الماضي يدل على حدثٍ في الزمن الماضي، هذه هي الدلالة الأصلية للفعل الماضي، وهذه الدلالة هي الدلالة الصرفية، ولكن مع ذلك قد يخرج الماضي عن دلالته الأصلية، ويأتي لدلالة الحال أو الاستقبال، وهذه الدلالة تكون حسب السياق والقرائن، وهنا أذكر بعض المواضع لتحويل الدلالة من الماضي إلى الحال أو الاستقبال، نرى في الحاشية للشيخ أنه يبيّن الصيغ الفعلية التي لم تبيّن في تفسير الإمام البيضاوي حسب الزمن، و هذا يساعد الدارسين لتفسير البيضاوي في فهم الدلالة الزمنية للأفعال.

وفهمنا من دراسة حاشية الشيخ عبد الحكيم أنه لم يعتمد على قواعد عامة، بل اعتمد على قواعد تحتاج إلى مراجعة، وقد ذكر العلماء مواضع مختلفة لتحويل الفعل الماضي إلى الحال أو الاستقبال، منها ما يلي:

مواضع تحويل دلالة الماضي إلى الحال أو الاستقبال:

أولاً– إذا وقع "الماضي" بعد حرف الشرط "إن":

يظهر ذلك من المثال: "إن متّ على الإسلام دخلت الجنة". والسبب في تحويل الماضي بعد "إن" بمعنى الحال والاستقبال أنّ "إنْ" شرطيةٌ لالتزام السببية والمسببية في المستقبل، وقال النحاة إن معنى هذه الجملة: "إن تمت على الإسلام تدخل الجنة". أي: الإنسان يموت ثمّ يدخل الجنة. وهذا العمل يكون في المستقبل، ولا يكون في الماضي.[53]

ذكر الزركشي من أسباب تحويل المعنى الزمني للفعل أنّ "للنحاة في تحويل المعنى تقديرين:

(أ): أنّ الفعل يتغير لفظاً لا معنىً، فكان الأصل "إن تمتْ مسلماً تدخل الجنة" فغُيِّر لفظ المضارع إلى الماضي تنزيلاً له منزلة المحقق.

(ب): أنه تغيّر معنىً لا لفظاً، و"إن" حرف الشرط لما دخل عليه قلب معناه إلى الاستقبال، وبقي لفظه على حاله، والأوّل أسهل؛ لأن تغير اللفظ أسهل من تغير المعنى".[54]

ثانياً– إذا سبق الماضي بـ "قد" لفظاً أو تقديراً:

الأصل أن لا يقع الماضي حالاً؛ لأنّ زمانه مضي، وليس بهيئة في ذلك الزمن، ولذا قال البصريون: الفعل الماضي لا يكون حالاً إلاّ بـ "قد" مظهرة أو مضمرة، كقولك: "جاء زيد ركب"؛ لأن الحال قد يكون مقارنة أو منتظرة، و"قد" يجعل الفعل قريباً من الحال. وقد هنا مضمرة، أي: (قد جاء زيد ركب)، ومنه في قوله تعالى: {أَوْ جَآءُوكُمْ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ}.[55]

قيل: لفظه ماض والمعنى على المضارعة، أي: "جاؤوكم تحصر صدورهم"، لأن الحصر كان موجودا وقت مجيئهم، فحقه أن يعبر عنه بفعل الحال، والكوفيون يجيزون ذلك من غير تقدير "قد"، وقيل: التقدير بفعل "قد حصرت".[56]

وكما في التحرير والتنوير: "جاؤُوكُمْ، وحَصِرَتْ – عند جمهور النحويين – في موضع نصبٍ على الحال بتقدير قد حصرت".[57]

نفهم ممّا سبق أنّ "قد" قبل الماضي سواء كانت ظاهرة أو مضمرة تقرب الماضي من زمن الحال، والعلة هي الدلالة على حصول الضيق قبل مجيئهم، فكأنهم عندما ضاقوا جاؤوكم، ولا يتحقق هذا المعنى لو جاء الحال مضارعاً.

ثالثاً– إذا وقع الماضي في الدعاء:

الفعل الماضي يأتي بمعنى الحال والاستقبال في الدعاء، كما نقول: "غفر الله لك، سامحك الله، رزقك الله"، بمعنى: ليسامحك الله، وليغفر لك الله، وليرزقك الله. والماضي هنا من باب التفاؤل، وطلب الخفة، فأنزل منزلة الأمر المحقق.[58]

وأيضا عندما تدخل "لا" النافية على الفعل الماضي، فإن تحليله يكون للدعاء، وتنتقل للاستقبال، كما في قوله تعالى: {فَلا صَدَّقَ وَلا صَلَّى}.[59]

كما في المحرر الوجيز: "تقديره: فلم يصدّق ولم يصلّ، أي الماضي هنا بمعنى المضارع".[60]

إذا وقع الماضي بعد (لا) في القسم، يكون الماضي في معنى المستقبل، إذا وقع بعدها في القسم، مثل قولك: والله لا فعلت. والمعنى: لا أفعل؛ لأن قولك في القسم: لا أفعل، إنما هو لما يقع مستقبلاً.[61]

كما في قوله تعالى: {فَلَا ٱقْتَحَمَ ٱلْعَقَبَةَ}.[62]

رابعاً– وقوع الماضي بعد "لا" في القسم:

يأتي الماضي بمعنى المستقبل إذا جاء بعده "لا" في القسم، مثل: "والله لا فعلت" أي: لا أفعل؛ لأنّ السياق سياق القسم وهو لما يقع.[63]

خامساً– فعل الرجاء "عسى" وضع لمقاربة الاستقبال، من حيث إن الرجاء غير مقطوع بحصول متعلقه.[64]

كما يقول الأنباري في "أسرار العربية" أنّ "عسى" ترفع الاسم وتنصب الخبر، وخبرها دائماً يكون مع الفعل المستقبل، مثل: "عسى زيدا أن يقوم"؛ لأن "عسى" وضعت لمقارنة الاستقبال.[65]

وذكر الدكتور تمّام حسّان في كتابه "اللغة العربية معناها ومبناها"، أن كلمة "عسى" في الترجّي تدل على الحال والاستقبال.[66]

سادساً– إذا دلّت القرينة أو دلّ السياق على انتقال الفعل الماضي عن زمنه، ويدخل في هذا الباب الواسع كثير من الحالات المتفرقة، وهي كلّها بمنزلة الأمر المحقق، وهي:

دلالة القرينة، كما في قوله تعالى: {أَتَىٰٓ أَمْرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُۚ}.[67]

وفي هذه الآية " أتى " فعل ماض بمعنى "سيأتي"، واستخدم الماضي هنا لحتمية وقوعه، فكأنه كان ووُجد، وقد دلّت القرينة على أنه منتظرٌ، وهي "فلا تستعجلوه"، أي الساعة.

ذكرنا سابقا أن الفعل الماضي قد يأتي بمعنى الحال أو المستقبل، وذكرنا المواضع التي يأتي فيها الفعل الماضي بمعنى الحال أو المستقبل، والآن سآتي بالأمثلة من حاشية السيالكوتي التي أشار فيها إلى هذه المسائل.

الماضي بدلالة المضارع:

وذلك في قوله تعالى: {وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَٰكُمۡ أُمَّة وَسَطاً لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيۡكُمۡ شَهِيداۗ وَمَا جَعَلۡنَا ٱلۡقِبۡلَةَ ٱلَّتِي كُنتَ عَلَيۡهَآ إِلَّا لِنَعۡلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيۡهِۚ}.[68]

موضع الشاهد: الفعل الماضي "جعلنا".

عبارة البيضاوي: "واستدل به على أن الإجماع حجة؛ إذ لو كان فيما اتفقوا عليه باطل لانثلمت به عدالتهم، {لِتَكُونُوا شُهَداءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً} علة للجعل".[69]

عبارة السيالكوتي: "وجعل الماضي بمعنى المضارع خلاف الظاهر.....إلخ ".[70]

الدراسة التحليلية:

"جَعَلَ" فعلٌ ماضٍ مبنيٌ على السكون، و"نا" فاعل، و"كُمْ" ضمير مفعول به أوّل، و"أمة" مفعولٌ به ثانٍ منصوبٌ.[71]

ونجد عند الإمام الرازي أنّ كلمة "جعلنا" فعل ماض، وما أشار أنّها لدلالة الماضي أو المضارع، بل قال إن الله يستطيع أن يفعل هذا الأمر في الحال، كما فعله في الماضي.[72]

الدلالة الأصلية للفعل الماضي أن يأتي للماضي، ولكن يقول السيالكوتي إن الفعل الماضي هنا خرج من الدلالة الأصلية وجاء للدلالة الفرعية، وهي دلالته للمضارع، ونفهم ذلك من القرينة؛ لأن الفعل الذي بعده هو الفعل المضارع "تكونوا"، ولابد أن يكون الماضي بمعنى المضارع، ولأنّ أمة رسول الله هي أمة حاضرة وموجودة الآن، ولم تكن في الماضي، واتفق الآلوسي مع السيالكوتي حيث يقول: "جعلناكم" يطلب تحقيق العدالة بالفعل، واستعمال الماضي هنا بمعنى المضارع خلاف الظاهر.[73]

فاتضح أنّ الإمامين السيالكوتي والآلوسي قالا بأن الماضي هنا بمعنى المضارع، وهذه الدلالة نفهمها من المعنى والقرينة.

في قوله تعالى: {وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَن يَكۡتُمۡنَ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِيٓ أَرۡحَامِهِنَّ إِن كُنَّ يُؤۡمِنَّ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ}.[74]

موضع الشاهد: "إِن كُنَّ يُؤْمِنَّ".

عبارة البيضاوي: {إِن كُنَّ يُؤْمِنَّ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ} "ليس المراد منه تقييد نفي الحل بإيمانهنّ، بل التنبيه على أنه ينافي الإيمان، وأنّ المؤمن لا يجترئ عليه، ولا ينبغي له أن يفعل".[75]

عبارة السيالكوتي: "قوله بل التنبيه على أنه ينافي الإيمان، وأنّ المؤمن لا يجترئ عليه، ولا ينبغي له أن يفعل" يعني أنّ تنزيل الإيمان المحقق في الزمان الماضي على وجه الاستمرار على ما يدل عليه صيغة " كان" مع الفعل المضارع منزلة المشكوك بإدخال كلمة "إن" عليه ... إلخ".[76]

الدراسة التحليلية: {إِن كُنَّ يُؤْمِنَّ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ} "كُنّ" فعل ماضي مبني على السكون لاتصاله بنون النسوة.

يقول السيالكوتي إنّ الفعل الماضي هنا على وجه الاستمرار؛ لأن بعده الفعل المضارع، والفعل المضارع عندما يكون مع " كان" يكون للاستمرار. وأيضا نفهم أنّ الفعل "يؤمن" بعده فعل مضارع، وهذه القرينة تدّل على أنّ الفعل الماضي هنا بمعنى المضارع مع القرينة، وهي دخول "إن" على المضارع.

ويتّضح ممّا سبق انفراد الشيخ السيالكوتي في شرح الآية من هذه الناحية؛ لأنّنا لم نجد شرح الآية من هذه الناحية عند المفسرين الآخرين.

وفي قوله تعالى: {قُلْنَا ٱهْبِطُواْ مِنْهَا جَمِيعاً}.[77]

موضع الشاهد: كلمة "جميعا".

عبارة البيضاوي: "و(جَمِيْعًا) حال في لفظ تأكيد في المعنى، كأنه قيل: اهبطوا أنتم أجمعون، ولذلك لا يستدعي اجتماعهم على الهبوط في زمان واحد، كقولك: جاؤوا جميعا، {فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ} الشرط الثاني مع جوابه جواب الشرط الأوّل، ... إلخ".[78]

عبارة السيالكوتي: "(قوله كقولك جاؤوا جميعا) في "الصحاح": وجميع يؤكد به، يقال: جَاؤُوا جميعا، أي: كلّهم". الشرط الثاني إشارة إلى أنّ "من" شرطية، وليست بموصولة، وإن قال به أبو حيّان لموافقة {والذين كفروا}؛ لأنّ الأغلب الأعم في الموصول الذي يدخل في خبره الفاء أن يكون صلته ماضيا، وقلما يكون ماضيا بمعنى المستقبل، كذا في الرضي".[79]

الدراسة التحليلية: في تفسير هذه الآية يذكر السيالكوتي أولاً المعنى اللغوي لكلمة (جَمِيْعُ) من معجم الصحاح للجوهري، يقول الجوهري في مادة (جَمَعَ) في باب العين وفصل الجيم: وجميع يؤكد به، يقال: جاؤوا جميعا، أي: كلّهم".[80]

ثمّ يذكر السيالكوتي قول الرضي من شرحه على الكافية، يقول الرضي بأنّ الأسماء الموصولة التي يدخل في خبرها "الفاء" تكون عامّةً، وصلتها تكون مستقبلية.[81]

ولكن يقول أبو حيّان في تفسيره "البحر المحيط" بأنّ " من" هنا شرطية وليست موصولة، وجاء بحرف الشرط في قوله: {فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى} وهي تأتي مع ما تراجع فِي وُقُوعِهِ، وَالَّذِي أيقظه زَمَانُ وُقُوعِهِ، وَإِتْيَانُ الْهُدَى وَاقِعٌ لَا مَحَالَةَ، لِأَنَّهُ أنبأهم وَقْتَ الْإِتْيَانِ، أَوْ لِأَنَّهُ آذَنَ ذَلِكَ بِأَنَّ تَوْحِيدَ اللَّهِ تَعَالَى لَيْسَ شَرْطًا فِيهِ إِتْيَانُ رُسُلٍ مِنْهُ، وَلَا إِنْزَالُ كُتُبٍ بِذَلِكَ، بَلْ لَوْ لَمْ يَبْعَثْ رُسُلًا، ولا أنزل كتبا، لكان الإيمان به واجبا، ... إلخ.[82] في هذه الآية لم يصرح السيالكوتي بالفعل الماضي مباشرة، بل ضمنه تضمينا، وملح إليه في قوله: "وإن قال به أبو حيّان لموافقة {و الذين كفروا}؛ لأنّ الأغلب الأعم في الموصول الذي يدخل في خبره الفاء أن يكون صلته ماضيا، وقلّما يكون ماضيا بمعنى المستقبل.

المطلب الثاني: الماضي بمعنى المضارع المستقبل

نفهم من عبارة الشيخ الآتية أنّ الفعل الماضي قد يأتي بمعنى المضارع المستقبل، وهذه من انفرادات الشيخ التي لم أجدها عند غيره من العلماء حسب بحثي. وذلك في قوله تعالى: {وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعاً مِّنَ ٱلْمَثَانِي وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ}.[83]

موضع الشاهد: "آتَيْناكَ".

عبارة البيضاوي: "وقد صح أنها مكية؛ لقوله تعالى: {وَلَقَدْ آتَيْناكَ سَبْعاً مِنَ الْمَثانِي}".[84]

عبارة السيالكوتي: "قوله: {وَلَقَدْ آتَيْناكَ سَبْعاً مِنَ الْمَثانِي}

أورد عليه أن هذا إنما يتم لو تعين إرادة الفاتحة من المثاني، وذلك غير مسلّم؛ لجواز أن يكون المراد بها السبع الطوال والحواميم أو أسباع القرآن، ولو سلّم فيجوز أن يكون التعبير بصيغة الماضي عن المستقبل للدلالة على تحقق وقوعه ... إلخ".[85] يعني "آتينا" فعل ماض، ولكن يدل على المضارع، هذا مراد السيالكوتي، ومن انفراداته في شرح الآية من هذه الناحية.

المطلب الثالث: الماضي بدلالة الماضي والاستقبال معًا

ذكرت في بداية هذا الفصل أن الفعل الماضي قد يأتي بمعنى الحال أو المستقبل، وجئت ببعض الأمثلة من حاشية السيالكوتي التي أشار فيها إلى هذه القضية، وأذكر هنا بعض المواضع التي يحتمل فيها الفعل الماضي بمعنى الماضي والاستقبال معاً، ونفهم الفعل المقصود من السياق.

مواضع وقوع الفعل الماضي لدلالة الماضي والاستقبال معا:

أولاً– وقوع الماضي بعد همزة التسوية:

الفعل الماضي يحتمل الاستقبال والماضي معاً إذا جاء بعد همزة التسوية، نحو: "سواء عليّ أقمت أم قعدت" يحتمل ما كان منك من قيام، أو قعود، أو ما يكون من ذلك.[86]

ثانياً– إذا جاء الماضي بعد أداة تخصيص

نحو: "هلّا فعلت، لولا فعلت، ألا فعلت"، لو أردت بها الماضي فهو توبيخ، كما في قوله تعالى: {فَلَوْلَا كَانَ مِنَ ٱلْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُوْلُواْ بَقِيَّة يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْفَسَادِ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلا مِّمَّنْ أَنجَيْنَا مِنْهُمْ}.[87]

الفعل الماضي هنا بعد (لولا) ولو أردت الاستقبال فهو أمر به وحثّ عليه، نحو قوله تعالى: {فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَة مِّنْهُمْ طَآئِفَة لِّيَتَفَقَّهُواْ فِي ٱلدِّينِ}.[88] أي: لينفر.

ثالثاً– إذا جاء قبل الفعل الماضي "كلّما" فيحتمل معنى الماضي والاستقبال، كما في الآية الكريمة: {ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَا كُلَّ مَا جَآءَ أُمَّةً رَّسُولُهَا كَذَّبُوهُ}.[89] ويفيد الاستقبال، نحو قوله تعالى: {إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُواْ ٱلْعَذَابَ}.[90]

فدلالة السياق المقال والحال هي الدليل على زمنه المراد، والمضارع إذا كان منتظرا فقد عبر عنه بالفعل الماضي؛ لإنزاله منزلة المحقق، لحتمية تحققه.[91]

وقد ذكر الشيخ السيالكوتي وقوع الماضي بعد همزة التسوية بمعنى الحال أو الاستقبال في الآية التالية:

قوله تعالى: {إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ}.[92]

موضع الشاهد: "أَأَنْذَرْتَهُمْ"، أنذر: فعل ماض، بمعنى المضارع.

"عبارة البيضاوي: "وإنما عدل "أنذر" ههنا عن المصدر إلى الفعل؛ لما فيه من إبهام التجدد، وحسن دخول الهمزة، و(أم) عليه لتقرير معنى الاستواء وتأكيده، فإنهما جردتا عن معنى الاستفهام لمجرد الاستواء ...إلخ".[93]

عبارة السيالكوتي: "(قوله لما فيه من إبهام التجدد وحسن دخول الهمزة، و (أم) عليه): أراد به الاستمرار التجددي، وإنما أفاده؛ لأن هذا الماضي بمعنى المضارع بقرينة قوله {لا يؤمنون}".[94]

الدراسة التحليلية: أشار السيالكوتي في حاشيته إلى هذه المسألة، وقال بأنّ الفعل الماضي قد يأتي بمعنى المضارع مع القرينة، كما في هذه الآية، والقرينة في هذه الآية هي الفعل المضارع {لا يؤمنون} في نهاية الآية.

ونجد هذه المسألة عند العلماء العرب القدماء بأنهم يشيرون إلى هذه المسألة، ويتكلمون عنها.

يدل الفعل الماضي على المضي مضيا حقيقة، وقد يكون مضيا في الاستقبال.

عندما ننظر إلى إعراب هذه الكلمة نجد أنّ الهمزة: مصدرية للتسوية، وأنذر: فعل ماض مبني على السكون لاتصاله بضمير الرفع، والتاء: ضمير متصل في محل رفع فاعل، والهاء: ضمير متصل في محل النصب مفعول به.[95]

نجد في عبارة السيالكوتي أنّه يفسر هذه الكلمة بأنها ماضٍ لفظا، ومضارع في التعبير، والذي يدل على هذا التعبير هي القرينة، والقرينة هنا هي الفعل المضارع في نهاية الآية {لا يؤمنون}، والمراد منه استمرار كفرهم في المستقبل؛ "لأن هذا الماضي بمعنى المضارع بقرينة قوله: {لا يؤمنون}"،[96] وكما درسنا أنّ الفعل الماضي إذا ورد بعد "الهمزة" التسوية يكون بمعنى المضارع.

السيالكوتي ذكر الزمن السياقي في هذه القضية، عندما قال بقرينة قوله: {لا يؤمنون}، والزمن السياقي يدل عليه السياق أو القرائن سواء كانت لفظية أو حالية.

ونجد في تفسير هذه الآية أقوالاً مختلفةً في التفاسير، كما يلي:

في "البحر المحيط" قال أبو حيّان إنّ كلمة "لم" من الحروف الجازمة، وهي مختصة بالفعل المضارع، " لَمْ حَرْفُ نَفْيٍ، مَعْنَاهُ النَّفْيُ، وَهُوَ مِمَّا يَخْتَصُّ بِالْمُضَارِعِ، اللَّفْظُ الْمَاضِي مَعْنًى، فَعَمِلَ فِيهِ مَا يَخُصُّهُ، وهو الجزم".[97] إذن "لم": حرف لنفي وقوع الحدث في الماضي.

كما يقول الدكتور ياسين جاسم في كتابه "الإعراب المحيط من تفسير البحر المحيط": "لم" حرف نفي، معناه النفي، وهو يختص بالمضارع، اللفظ الماضي معنى المضارع، فعمل فيه يخصّه، وهو الجزم. أي: أنّ الفعل ماض، ولكنه في معنى المضارع.[98]

ومثله قال الآلوسي في "روح المعاني": "وقوله عزّ من قائل: {لا يؤمنون} وفيه الاحتمال أن يكون مفسرة لإجمال ما قبلها ممّا فيه الاستواء والكفر، وبدون نفع الإنذار في الماضي، كما في الظاهر مسكوت فيه عن الاستمرار، و {لا يؤمنون} دالٌّ عليه ومبيّنٌ له، فلا حاجة إلى القول بأنّ هذا بالنظر إلى مفهوم اللفظ مع قطع النظر عن أنه إخبار عن المصرّين، وهي حينئذ لا محل لها من الإعراب، كما هو شأن الجمل المفسرة".[99]

فهمنا ممّا سبق أنّ هناك بعض الصيغ أو الأفعال التي يصلح معناها لزمن الماضي أو الاستقبال، ويتحدّد لأحدهما بقرينة، ومنها وقوعها بعد همزة التسوية. وحدد العلماء هنا معنى الاستقبال حسب ما ذكرنا.

المبحث الثالث: يشمل الفعل المضارع، ومن أسرار دلالاته، ومقسم في ثلاثة مطالب.

المطلب الأوّل: المضارع بمعنى المضارع

الفعل المضارع كلمة تدّل على الحال أو المستقبل ، هذا هو رأي جمهور النحاة.[100]

يقول سيبويه: إن الفعل المضارع من الأفعال التي لها حروف تعمل فيها وتنصبها، وهذه الحروف هي: أن، لن، وكي، وإذن .[101]

الأصل في المضارع أن يكون معربا، ونوع إعرابه الأصلي هو الرفع، إذا لم يسبق بناصب أو جازم، أو ما يجب بناؤه.[102] وهنا أذكر أمثلة من حاشية الشيخ عبد الحكيم السيالكوتي لهذه القضية: الفعل المضارع لدلالة المضارع (الحال والاستقبال) أي: لا يخرج عن دلالته الأصلية، وذلك كما في قوله

تعالى: {وَقَالُواْ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّاما مَّعۡدُودَةٗۚ قُلۡ أَتَّخَذۡتُمۡ عِندَ ٱللَّهِ عَهۡدا فَلَن يُخۡلِفَ ٱللَّهُ عَهۡدَهُۥٓۖ}.[103]

موضع الشاهد: "أتّخذتم".

عبارة البيضاوي: "جواب الشرط مقدر، أي: إن اتخذتم عند الله عهدا فلن يخلف الله عهده، وفيه دليل على أن الخلف في خبره محال".[104]

عبارة السيالكوتي: "(قوله: أي إن اتخذتم عند الله إلى آخره) أي: إن كنتم اتخذتم، إذ ليس المعنى على الاستقبال، فإن قلتَ: لا يصح جعل لا؛ قلتُ: يخلق الله جزاء لامتناع السببية، والترتب لكون "لن" لمحض الاستقبال ... إلخ.[105]

الدراسة التحليلية: نفهم من عبارة السيالكوتي أنّ "لن" حرف ناصب جاء قبل الفعل المضارع، ومعناه للاستقبال فقط؛ لأن "لن" من الحروف التي يختص زمنها للمستقبل غالبا، وليس فيه أي احتمال آخر.

من أشهر أحكام "لن":

أ: أنه من نواصب المضارع، وينفصل زمنه للمستقبل فقط، ولهذا يكون نفيه مقصورا على المستقبل،كما في قوله تعالى: {وَقَالُواْ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّاما مَّعۡدُودَةٗ}.[106]

ب: جواز تقديم معمول "لن" عليها، نحو: "زيدا لن أضرب".

"لن تمسنا" (لن) حرف نصب ونفي، تمسّ: فعل مضارع منصوب، و"نا": ضمير متّصل في محلّ نصب مفعول به.[107]

ونجد في كتاب "إعراب القرآن" يعربه كما يلي:" لَنْ: حرف نفي ونصب واستقبال، تَمَسَّنَا: فعل مضارع منصوب بلن.[108]

ولكن في كتب التفاسير لم أجد تفسير الآية على هذه الناحية كما فسّرها الشيخ عبد الحكيم، وقد تبيّن أنّ هذا من انفراداته في تفسير هذه الآية.

المطلب الثاني: المضارع بدلالة الماضي

ذكرنا سابقاً أنّ الفعل المضارع في الأصل يدلّ على زمن الحال أو الاستقبال إذ جعلوه من المشترك، وقد يدّل في الاستعمال مجازًا على الزمن الماضي لعلّة بلاغية.

أذكر هنا بعض المواضع التي يأتي فيها المضارع لدلالة الماضي، ثمّ سآتي بالأمثلة من الحاشية.

مواضع يأتي الفعل المضارع لدلالة الماضي:

قد يأتي الفعل المضارع بدلالة الماضي بعد أدوات، وقد يأتي بغير أدوات، أما بعد أدوات، ما يلي:مجئ المضارع بعد (لم ولما)، فإنهما يحوّلان زمنه إلى المضي، وعند النحاة أنهما أداتا نفي وجزم وقلب، يقول ابن عقيل: إنّ "لم" و"لما" أداتا نفي، انفردا للمضارع، ويحولان معناه إلى المضي، مثل: (لم

يقم زيد، ولما يقم عمرو) والنفي بلما مختص بالحال.[109]

فسّر ابن عاشور كلمة (لم) بأنها تحوّل زمن الفعل المضارع إلى الماضي، فتفيد انتفاء مادة الفعل في الزمن الماضي، وتفيد تجدد ذلك المنفي الذي هو من خصائص الفعل المضارع، فيحصل معنيان: انتفاء الفعل بمادته، وتجدد الانتفاء بصيغته.[110]

الفعل المضارع بعد (لو) الشرطية يحوّل المضارع إلى الماضي؛ لأنّ شرط "لو" الالتزام بالزمان الماضي، بخلاف (إنْ) فإنّ التزامه بالمستقبل.[111]

وقال ابن مالك:

وإن مضارع تلاها صُرِفا ... إلى المضيِّ نحو لو يفي كفى.[112]

وقال ابن عقيل في شرحه:

لو يسمعون كما سمعت كلامها ... خروا لغزة ركعا وسجودا

أي: لو سمعوا، ولا بدّ لِ "لو" من جواب، وجوابها إما فعل ماض أو مضارع، منفي بلم.[113]

وكما في قوله تعالى: {وَلَوْ نَشَآءُ لَطَمَسْنَا عَلَىٰٓ أَعْيُنِهِمْ فَٱسْتَبَقُواْ ٱلصِّرَٰطَ فَأَنَّىٰ يُبْصِرُونَ}.[114]

ويقول الآلوسي في "روح المعاني": إنّ المراد بالطمس هنا هو ليس إذهاب العضو، بل هو إذهاب الضوء وأثره، أي: ولو نشاء لأعميناهم، وجاء بصيغة الاستقبال – وإن كان المعنى على المضي لإفادة أن عدم الطمس على أعينهم لاستمرار عدم المشيئة، فإن المضارع المنفي الواقع موقع المضي ليس بنص في إفادة انتفاء استمرار الفعل، بل قد يفيد استمرار انتفائه.[115]

الفعل المضارع إذا جاء بعد (إذ) الظرفية تأتي لما مضى من الزمان:

كما يقول سيبويه في "الكتاب": "وإذ، وهي لما مضى من الدهر، وهي ظرفٌ بمنزلة مع".[116]

وذكر المبرد في المقتضب بأن "إذ" ظرف الزمان مبني للفعل الماضي.[117]

قال أبو حيان في تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ﴾.[118] "يَرفعُ": في معنى "رفع"، و"إذ" من الأدوات التي تحوّل المضارع إلى الماضي؛ لأنها ظرف للزمن الماضي.[119]

وعلّل الآلوسي استعمال المضارع مكان الماضي بقوله: "و "إذ" للمضي، وآثر صيغة المضارع مع أن القصة ماضية؛ استحضارًا لهذا الأمر، ليقتدي الناسُ به في إتيان الطاعات الشاقة مع الابتهال في قبولها".[120]

وكما في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُواْ﴾.[121]

أضيف "إذ" هنا إلى جملة فعلية إضافة، "يمكر": مضارع بدلالة الماضي؛ لأنّ هذه السورة مدنية ولكن مكر الكفار مع الرسول صلى الله عليه وسلم كان في مكّة، واستعمل المضارع لدلالة

الماضي؛ لإفادة استمرار مكر الكفار، والدليل على إرادة معنى الاستمرار قوله عز وجل بعد ذلك: ﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللهُ وَاللهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾ والمضارع يدل على الحال والاستقبال فيفيد الديمومة والاستمرار.

وكذلك فسّره ابن عاشور في "التحرير والتنوير": إنّ في الغالب بعد "إذ" الظرفية يأتي الفعل الْمُضَارِعِ لدلالة الفعل الْمَاضِي.[122]

عندما يأتي المضارع بعد (ربما) يعطي معنى الماضي، لأنه لا يأتي بعد "ربما" إلا الفعل الماضي لفظا أو معنى، وتنقل المضارع لدلالة الماضي.[123]

كما في قوله عز وجل: ﴿رُبَمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ كَانُواْ مُسْلِمِينَ﴾.[124]

ورُبّ هنا للتكثير، والمضارع هنا بمعنى الماضي، يقول الزمخشري في تفسيرها: "فإن قلتَ: لم دخلت "ربما" على المضارع وقد أبوا دخولها إلا على الماضي؟ قلتُ: لأن المترقب في إخبار الله تعالى بمنزلة الماضي المقطوع به في تحققه، فكأنه قيل: ربمّا ودّ".

فإن قلتَ: متى تكون ودادتهم؟ قلتُ: عند الموت، أو يوم القيامة إذا عاينوا حالهم وحال المسلمين".[125]

وقد يأتي الفعل المضارع بمعنى المضي بغير أدوات تحوّل زمنه، بواسطة السياق والقرائن حسب ذلك.[126] منها:

إذا عطف المضارع على الماضي، أو عكسه، لاشتراط اتحاد الأزمنة بين المتعاطفين، ويقوم السياق برد أحد الأزمنة إلى الآخر فيؤول بمعناه، كما درسنا في الفعل الماضي.

يقول سيبويه: "وقد تقع "نفعل" في موضع "فعلنا" في بعض المواضع، ومثل ذلك قول الشاعر شمر بن عمرو الحنفي:[127]

ولقد أمُرُّ على اللئيم يسبني فمضيتُ ثُمَّتَ قلتُ لا يعنيني

واعلم أن أسيرُ بمنزلة سرت إذا أردت بأسيرُ معنى سرتُ".[128]

وعند السيرافي: هذا الاستعمال يكون في الفعل المعروف، أي أن يكون الفاعل منه معروفاً، ولا ينكر منه في المضي والاستقبال، ولا يكون الفعل فعله مرة من الدهر.[129]

هنا عطف المضارع الماضي، لهذا المضارع بمعنى الماضي.

في قوله تعالى: {وَمَن يَتَبَدَّلِ ٱلْكُفْرَ بِٱلْإِيمَٰنِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ}.[130]

موضع الشاهد: "يتبدل": فعل مضارع مجزوم؛ لأنه فعل شرط ب "مَن".

عبارة البيضاوي: "قيل: نزلت في أهل الكتاب حين سألوا أن ينزل الله عليهم كتابا من السماء ... ومن ترك الثقة بالآيات البينات وشك فيها و اقترح غيرها؛ فقد ضلّ الطريق المستقيم حتى وقع في الكفر بعد الإيمان، ومعنى الآية: لا تقترحوا فتضلّوا وسط السبيل ... وقرئ "يبدل" من "أبدل".[131]

عبارة السيالكوتي: "(قوله نزلت في أهل الكتاب حين سألوا أن ينزل...) فعلى هذا الخطاب في أم تريدون اليهود، خاطبهم بعد ردّ طعنهم تهديداً لهم، وحينئذ معنى قوله "ومن يتبدل": تبدّل عبر عن الماضي بصيغة المضارع، إحضاراً للصورة الشنيعة".[132]

الدراسة التحليلية: يقول السيالكوتي إنّ المضارع هنا بدلالة الماضي، أي أنّ "يتبدل" فعل المضارع ولكن عبر به عن الماضي، "وعبّر بالمضارع استجلاباً لمن زلّ بسؤال شيء من ذلك إلى الرجوع بالتوبة؛ ليزول عنه الاستمرار، فيزول الضلال".[133]

كما يقول الآلوسي في تفسيره "روح المعاني": هذا الخطاب مع الكفار كان بعد رد طعنهم تهديدا لهم، وحينئذ يكون المضارع الآتي بمعنى الماضي، إلا أنه عبر به عنه إحضارا للصورة الشنيعة".[134]

يتبيّن ممّا سبق أنّ الآلوسي ومحمد شريف الله اتفقا مع السيالكوتي في رأيه أنّ المضارع هنا بمعنى الماضي.[135]

في قوله تعالى: {وَلَوْ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ إِذْ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ أَنَّ ٱلْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعا وَأَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعَذَابِ}.[136]

موضع الشاهد: يرى.

عبارة البيضاوي: {وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا} ولو يعلم هؤلاء الذين ظلموا باتخاذ الأنداد (إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ) إذ عاينوه يوم القيامة، وأجرى المستقبل مجرى الماضي؛ لتحققه،[137] كقوله تعالى: {ونادى أصحاب الجنة}.[138]

عبارة السيالكوتي: "(قوله إذ عاينوه يوم القيامة إلى آخره) أفاد بصيغة الماضي، والتقييد بالظرف أنّ الرؤية بصرية، ويرون: ماضٍ تأويلاً مستقبلٌ حقيقةً".[139]

الدراسة التحليلية: اتّفق البيضاوي والسيالكوتي مع المفسرين في تفسير هذه الآية كما قال ابن عطية وأبو حيّان الأندلسي بأنّ إذ الظرفية إذا دخلت على الفعل المضارع تأتي للماضي، فقالا: ودخلت "إِذْ" وهي تأتي مع ظرف الماضي.[140]

ومثله قال محيي الدين بن أحمد مصطفى الدرويش،[141] وكذلك قال أبو حيّان في "البحر المحيط": دخلت "إذ" وهي للظرف الماضي في أثناء هذه المستقبلات؛ تقريبا للأمر وتصحيحا لوقوعه.[142]

وكذلك قال مؤلف "التفسير الوسيط": جاء هناك الفعل الماضي مع أنّ هذا النداء يكون في الآخرة؛ لتحقق الوقوع وتأكده.[143] ومثله فسّر الآلوسي أنّه بعد الاستقرار في الجنة كما هو ظاهر، واستخدم الفعل الماضي لتحقق الوقوع.[144]

ثمّ فسّر السيالكوتي عبارة البيضاوي قائلا: "قوله وأجرى المستقبل ... إلخ" أي: أورد صيغة المستقبل بعد "لو" و"إذ" المختصين بالماضي؛ لتحقق مدلوله، فيكون ماضياً تأويلاً، مستقبلاً تحقيقاً، فروعيت الجهتان.(145) كما يقول الرضي في شرحه على الكافية: يحوّل المضارع إلى المضي بـ"لو" غالباً، وبإذ" و"ربما"، فإنهما موضوعان للماضي.[146]

ذكرنا في المدخل مواضع تحويل المضارع بدلالة الماضي أنّه عندما تدخل "إذ" الظرفية مع الفعل المضارع فإنها تحوّل معناه إلى الماضي، وفهمنا أن السيالكوتي نظر إلى النص حسب القرائن، أو نظر إلى النص من حيث الدلالة اللغوية، لا ينظر إلى النص فقط حسب الظاهرة النحوية، وكان هذا هدفه من تصنيف حاشيته.

المطلب الثالث: صيغة المضارع يدّل على صفة الاستمرار

الفعل المضارع إما يدل على الحاضر أو المستقبل، وقد يدل على الماضي مع القرائن، ولكن مع ذلك قد لا يدل المضارع بزمن محدد، بل يدل على الاستمرار إذا ورد في جملة تعبر عن العادة والتكرار، وفي الحكم والأمثال، وفي الحقائق العامة يدل المضارع على الاستمرار، كما في الآيات التالية:

قوله تعالى: {بِئۡسَمَا ٱشۡتَرَوۡاْ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمۡ أَن يَكۡفُرُواْ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بَغۡيًا أَن يُنَزِّلَ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦۖ}.[147]

موضع الشاهد: (أن: حرف مصدري ناصب، و"يكفروا": فعل مضارع منصوب بسبب "أن"، وعلامة نصبه حذف النون.[148]

عبارة البيضاوي: "هو مخصوصٌ بالذم، (بغيا) طلبا لما ليس لهم وحدا".[149]

عبارة السيالكوتي: "قوله هو مخصوص بالذم (بغيا) إلى آخره" والتعبير لصيغة المضارع؛ لإفادة الاستمرار على الكفر فإنه موجب للعذاب المهين، فلا يرد ما قيل أنه يصح ذلك، لو قال كفروا لظهور أن ما باعوا به أنفسهم، واستبدلوا به في الماضي، ليس هو أن يكفروا به في المستقبل".[150]

الدراسة التحليلية: يقول السيالكوتي: إنّ الفعل المضارع "يكفروا" هنا لإفادة الاستمرار؛ لأن عملهم الكفر بالله لا يكون مرة واحدة، بل يكون مرارا .

وقد وجدنا السيالكوتي اتفق مع المفسرين في تفسير هذه الآية، فقال شهاب الدين الخفاجي في حاشيته على تفسير البيضاوي: "قيل: هذا إنما يصح لو قال كفروا بلفظ الماضي؛ لظهور أنّ ما باعوا أنفسهم واستبدلوها به ليس كفرهم في المستقبل".[151]

وأشار ابن عاشور في "التحرير والتنوير" إلى أن الفعل المضارع في الآية الكريمة بمعنى الماضي المستمر، قائلا: "وَجِيءَ بِصِيغَةِ الْمُضَارِعِ فِي قَوْلِهِ: أَنْ يَكْفُرُوا، وَلَمْ يُؤْتَ بِهِ عَلَى مَا يُنَاسِبُ الْمُبَيَّنَ، وَهُوَ

مَا اشْتَرَوْا الْمُقْتَضِي أَنَّ الِاشْتِرَاءَ قَدْ مَضَى؛ لِلدِّلَالَةِ عَلَى أَنَّهُمْ صَرَّحُوا بِالْكُفْرِ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ نُزُولِ الْآيَةِ، فَقَدْ تَبَيَّنَ أَنَّ اشْتِرَاءَ أَنْفُسِهِمْ بِالْكُفْرِ عَمَلٌ اسْتَقَرَّ وَمَضَى".[152]

أي: أن المضارع هنا بمعنى الماضي المستمر، وكذلك قال الآلوسي في "روح المعاني": إنّ "يَكْفُرُوا" التعبير بصيغة المضارع؛ لإفادة الاستمرار على الكفر، فإنه الموجب للعذاب المهين، ويحتمل على هذا الوجه أن يكون المخصوص محذوفاً، واشْتَرَوْا صفة له، والتقدير: بئس شيء اشتروا به.[153]

في الآية التالية:

{ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُواْ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ}.[154]

موضع الشاهد: الأفعال "يكفرون" و"يقتلون".

عبارة البيضاوي: بسبب كفرهم بالمعجزات التي من جملتها ما عدّ عليهم من فلق البحر، وإظلال الغمام، وإنزال المنّ والسلوى، وانفجار العيون من الحجر ... إلخ".[155]

عبارة السيالكوتي: "(قوله بسبب كفرهم) والتعبير بصيغة المضارع من أن مقتضى الظاهر كفروا بآيات الله، وقتلوا النبيين؛ للإشارة إلى تجدد الكفر والقتل منهم حينا بعد حين، واستمرارهم عليهما فيما مضى، أو لاستحضار قبح صنعهم".[156]

الدراسة التحليلية: قال السيالكوتي: إنّ ورود الأفعال المضارعة (يكفرون – يقتلون) بسبب استمرارهم على هذا العمل، لأن الكفار يكفرون بآيات الله مرارا، وهكذا كانوا يقتلون الأنبياء. وإذا نظرنا إلى تفسير الكشّاف وجدنا أنّ الزمخشري أشار إلى ذلك فقال: "وقرأ عليّ رضي الله عنه: ويقتّلون بالتشديد؛ ذلِكَ تكرار للإشارة بِما عَصَوْا، بسبب ارتكابهم أنواع المعاصي، واعتدائهم حدود اللَّه في كل شيء، مع كفرهم بآيات اللَّه وقتلهم الأنبياء".[157] أي أن المضارع هنا بمعنى استمرار أعمالهم.

يتّضح ممّا سبق أنّ السيالكوتي اتفق مع الإمام الزمخشري في تفسير هذه الآية السابقة.

خاتمة البحث: وفيها نتائج البحث، والتوصيات

أولاً– نتائج البحث:

1. مع نهاية هذا البحث توصلت إلى مجموعة من النتائج، ألخصها فيما يلي:
2. تنوعت دلالات الزمن في القرآن عند الشيخ عبد الحكيم السيالكوتي في حاشيته على تفسير البيضاوي، وقد وضحها السيالكوتي اعتمادا على السياق.
3. ركّز السيالكوتي على دلالة الصيغ أكثر من أبنيتها.
4. انفرد الشيخ عبد الحكيم السيالكوتي ببعض الصيغ التي تدل على الدلالة الفرعية أكثر من الدلالة الأصلية.

ثانياً– التوصيات:

يتسع المجال للباحثين والباحثات لدراسة الحواشي الأخرى لتفسير البيضاوي من ناحية الدلالات الفرعية للزمن، مثل: حاشية شهاب الدين الخفاجي على تفسير البيضاوي، أما حاشية السيالكوتي فهي تشتمل على المسائل الفقهية التي تقتضي أن يدرسها الباحثون والباحثات.

الهوامش

[1] الخصائص: ابن جني، 98/3.

[2] اللغة العربية معناها ومبناها: تمام حسان، ص: 242، الهيئة المصرية العامة، القاهرة، د ط، 1973م.

[3] النحو التعليمي: محمود سليمان ياقوت، والتطبيق في القرآن الكريم: محمود سليمان ياقوت، ص: 480-481 بتصرف، دار المعرفة الجامعية، مصر، دط.

[4] شرح كافية ابن الحاجب: رضي الدين محمد بن حسن الأستراباذي، قدم له ووضع حواشيه وفهارسه: إميل بديع يعقوب، 7/4، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1998م.

[5] التعبير عن فكرة الزمن في اللغة العربية تتم بوسيلتين: إحداهما صرفية والأخرى نحوية، والمراد الأولى: تخصيص علامات خاصة للدلالة على انقضاء زمن الفعل أو عدم انقضائه، وهذه الوسيلة هي المرادة في هذا البحث، وأما الوسيلة النحوية فهي التعبير عن علاقة المتحدث بالزمن، ويعبّر عنها بأدوات، مثل: كان أو ظلّ أو ما زال وغيرها، ينظر: اللغة العربية معناها ومبناها، ص: 245. ودلالة السياق، ص: 162.

[6] ينظر: التحويل الزمني للفعل الماضي في العربية: أ. البشير حلول، ص:3، قسم الآداب واللغة العربية، كلية الآداب واللغات، جامعة محمد.

[7] المقتضب: أبو العباس محمد بن يزيد المبرد، تح: محمد عبد الخالق عضيمة، 48/2، دار النشر: وزارة الأوقاف، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، ط،1، 1974م.

[8] الأصول في النحو: ابن السراج، تح: عبد الحسين الفتيلي، 1/ 400، الناشر: مؤسسة الرسالة، لبنان– بيروت.

[9] المرجع السابق، ص: 400.

[10] أوضح المسالك على ألفية ابن مالك: جمال الدين بن يوسف ابن هشام الأنصاري، تح: محيي الدين عبد الحميد، 3/ 394، الناشر: دار الفكر، بيروت– لبنان.

[11] أسرار العربية للأنباري، تح: محمد بهجة البيطار، ص: 126، المجمع العلمى العربي – دمشق، 1957م.

[12] همع الهوامع في شرح جمع الجوامع: جلال الدين السيوطي، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، 44/1، المكتبة التوفيقية، القاهرة، دط، دت.

[13] شرح الكافية: رضي الدين الإستراباذي، 4/ 15.

[14] همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، 7/1.

[15] الزمن النحوي، كاتب غير محدد، نوع الملف بي دي أيف، تاريخ الإنشاء: 14 أغسطس 2012، ص: 132.

[16] المفصل في النحو: الزمخشري، تح: د. علي بو ملحم، مكتبة الهلال بيروت – لبنان، ط1993، 109/8.

[17] ينظر تفصيل ذلك في: "شذى العرف في فن الصرف" ص: 9.

[18] مدينة بالقرب من مدينة لاهور (عاصمة إقليم البنجاب) بباكستان، هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين لإسماعيل بن محمد أمين بن مير سليم البابانى البغدادي ،504/1، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ب ط، و أبجد العلوم : لصديق حسن خان القنوجي، 230/3، المحقق ، عبد الجبار زكار، الناشر: وزارة الثقافة والإرشاد القومي دمشق – دار الكتب العلمية، ط1، 1978 م.

[19] تذكرة مصنفين، درس نظامي، ص: 139.

[20] سيالكوت من توابع مدينة لاهور عاصمة إقليم بنجاب الباكستانية، في شمال شرق البلاد. انظر: موسوعة المدن العربية الإسلامية، دار الفكر العربي، بيروت، ط1، 1993، ص: 297.

[21] سبحة المرجان في آثار هندوستان: للعلامة غلام على آزاد بلكرامي، ص: 66، تحقيق: محمد سعيد الطريحي، دار الرافدين بيروت لبنان، ط1، 2015م.

[22] المرجع السابق، ص: 132-133.

[23] تذكرة مصنفين درس نظامي: بروفيسر اختر راهي، ص: 138، مكتبة رحمانية اردو بازار لاهور، 1978م.

[24] هي السكة الفضية المروجة في الديار الهندية.

[25] تذكرة مصنفين درس نظامي: بروفيسر اختر راهي، ص: 140.

[26] ينظر: الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام المسمى بـ (نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر): عبد الحي بن فخر الدين بن عبد العلي الحسني الطالبي، 516/5-517، دار النشر: دار ابن حزم – بيروت، لبنان، ط1، 1420هـ، 1999م.

[27] ينظر: المرجع نفسه، 558/5.

[28] ينظر: المرجع نفسه، الجزء نفسه والصفحة نفسها.

[29] أبجد العلوم: لصديق حسن خان القنوجي، ص: 230، وتذكرة مصنفين درس نظامي، ص: 138.

[30] سبحة المرجان في آثار هندستان: للعلامة غلام علي أزاد، ص: 66.

[31] تذكرة مصنفين درس نظامي، ص: 139. ومعجم المؤلفين، 3/ 95.

[32] هدية العارفين، 504/1، ومعجم المؤلفين، 95/5.

[33] معجم المؤلفين، 95/5.

[34] هدية العارفين، 504/1.

[35] المرجع نفسه، الجزء نفسه والصفحة نفسها.

[36] معجم المؤلفين، 95/5.

[37] إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون، 319/3.

[38] الأعلام للزركلي، 283/3، ومعجم المؤلفين، 95/5.

[39] المرجع نفسه، 283/3.

[40] هدية العارفين، 504/1.

[41] إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون، 457/3.

[42] الأعلام للزركلي، 283/3.

[43] إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون، 92/5.

[44] معجم الفقهاء: لمحمد رواس قلعجي وحامد صادق قنيبي، 172/1، الناشر: دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع، ط2، 1408هـ - 1988م.

[45] معجم اللغة العربية المعاصرة: للدكتور أحمد مختار عبد الحميد عمر، 530/1، الناشر: عالم الكتب، ط1، 1429 هـ - 2008م.

[46] كشف الظنون، 623/1.

[47] ينظر: تاريخ الإصلاح في الأزهر، وصفحات من الجهاد في الإصلاح: لعبد المتعال الصعيدي، ص: 56، مطبعة الاعتماد بمصر، ط1، ب ت.

[48] ينظر: عبد الحكيم السيالكوتي وخدماته العلمية: للدكتورة قديرة سليم، ص: 85، مجلة آفاق الثقافة والتراث.

[49] حاشية العلامة عبد الحكيم على تفسير البيضاوي، ص: 2.

[50] فقهاء هند: محمد إسحاق بهتي، ص: 66-67.

[51] حاشية عبد الحكيم السيالكوتي، ص: 2.

[52] فقهاء الهند، ص: 69. عربی ادبیات میں پاك وهند كا حصه، ص: 62.

[53] المقتضب للمبرد، 48/2.

[54] ينظر، البرهان في علوم القرآن، لبدر الدين الزركشي، 2 /356، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، مكتبة دار التراث – القاهرة، ط3، 1404هـ - 1984م.

[55] سورة النساء، الآية: 90.

[56] ينظر: الإنصاف في مسائل الخلاف، لأبي البركات الأنباري، 205/1، المكتبة العصرية، ط1، 1424هـ. واللباب في علل البناء والإعراب، لأبي البقاء العكبري، 294/1، تحقيق: أبو عبد الإله النبهان، دار الفكر – دمشق، ط1، 1416هـ 1995م.

[57] التحرير والتنوير، 90/2.

[58] ينظر: الكتاب لسيبويه،142/1 والمقتضب للمبرد، 132/2.

[59] سورة القيامة، الآية: 31.

[60] ينظر: المحرر الوجيز لابن عطية، 5/ 506، والبحر المحيط، 8/ 544.

[61] ينظر: الأصول في النحو، 400/1.

[62] سورة البلد، الآية: 11.

[63] ينظر: الأصول في النحو، لابن السراج، 400/1، تحقيق: عبد الحسين الفتيلي، مؤسسة الرسالة، بيروت – لبنان.

[64] ينظر: الأفعال في القرآن الكريم، لعبد الحميد مصطفى السيد، 19/1، والزمن في اللغة العربية، لعباس محمود العقاد، 14/ 41، مجلة مجمع اللغة العربية، مطبعة مصر القاهرة، 1962م.

[65] ينظر: أسرار العربية، لأبي البركات الأنباري، ص: 109، دار الأرقم بن أبي الأرقم، ط1، 1420هـ – 1999م.

[66] ينظر: اللغة العربية معناها ومبناها، للدكتور تمّام حسّان، ص: 251. والبحر المحيط، لأبي حيّان محمد بن يوسف الأندلسي، 368/4، تحقيق: صدقي محمد بن جميل، دار الفكر، بيروت – لبنان، 1420هـ.

[67] سورة النحل، الآية: 1.

[68] سورة البقرة، الآية: 143.

[69] تفسير البيضاوي، 1/ 110.

[70] حاشية السيالكوتي، ص: 480.

[71] الجدول في إعراب القرآن، 289/2.

[72] ينظر: مفاتيح الغيب، للإمام فخر الدين الرازي، 88/4. وغرائب القرآن ورغائب الفرقان، للنيسابوري، 422/1.

[73] ينظر: روح المعاني، 404/1.

[74] سورة البقرة، الآية: 228.

[75] تفسير البيضاوي،141/1.

[76] حاشية السيالكوتي، 655.

[77] سورة البقرة، الآية: 38.

[78] تفسير البيضاوي، 1/ 73-74.

[79] حاشية السيالكوتي، ص: 314.

[80] الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، لأبي نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين - بيروت، ط4، 1407 هـ - 1987م.

[81] ينظر، شرح الرضي على الكافية، لرضي الدين الأستراباذي، 1/ 268.

[82] ينظر: البحر المحيط، 89/2.

[83] سورة الحجر، الآية: 87.

[84] تفسير البيضاوي، 25/1.

[85] حاشية السيالكوتي، ص- 23.

[86] ينظر: همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، لعبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، 24/1-25، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، المكتبة التوفيقية مصر.

[87] سورة هود، الآية: 116.

[88] سورة التوبة، الآية: 122.

[89] سورة المؤمنون، الآية: 44.

[90] سورة النساء، الآية : 56.

[91] ينظر: تداخل أزمنة الفعل، للدكتور خالد بن أحمد بن إسماعيل الأكوع، ص: 19.

[92] سورة البقرة، الآية: 6.

[93] تفسير البيضاوي، 4/1.

[94] حاشية السيالكوتي، ص: 148.

[95] الجدول في إعراب القرآن، 42/1.

[96] حاشية السيالكوتي، ص: 148.

[97] البحر المحيط، 1/ 76.

[98] ينظر: الإعراب المحيط من تفسير البحر المحيط، للدكتور ياسين جاسم، 44/1، دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان، ط1، 1422هـ -2001م.

[99] ينظر: روح المعاني، للآلوسي، 17/1. والتحرير والتنوير، لابن عاشور، 17/1، الدار التونسية للنشر، تونس، 1984م.

[100] انظر: شرح المفصل، 6/7. والمعجم المفصل في النحو العربي، ص: 100.

[101] انظر: الكتاب لسيبويه، 5/3. والمقتضب، للمبرد، 8/2.

[102] الوجيز في الصرف والنحو والإعراب، ص: 134.

[103] سورة البقرة، الآية: 80.

[104] تفسير البيضاوي، 90/1.

[105] حاشية السيالكوتي، ص: 384.

[106] سورة آل عمرآن، الآية: 80.

[107] انظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج، 161/1. وإعراب القرآن للدعاس، 36/1، الجدول في إعراب القرآن، 174/1.

[108] إعراب القرآن و بيانه، 134/1. والجدول في إعراب القرآن، 174/1.

[109] انظر: شرح ابن عقيل ، 26/4.

[110] انظر: التحرير و التنوير لابن عاشور، 316/14.

[111] انظر: شرح ابن عقيل، 26/4.

[112] ألفية ابن مالك، 59/1.

[113] شرح ابن عقيل، 51/4.

[114] سورة يسين، الآية: 66.

[115] روح المعاني، 44/12.

[116] الكتاب، لسيبويه، 229/4.

[117] انظر: المقتضب، 54/2. والأصول في النحو لابن السراج، 2/ 144.

[118] سورة البقرة، الآية: 127.

[119] انظر: البحر المحيط، 1/ 618.

[120] روح المعاني، للآلوسي، 1/ 381.

[121] سورة الأنفال، الآية: 30.

[122] انظر: التحرير و التنوير، لابن عاشور، 9/ 329.

[123] تداخل أزمنة الفعل، ص: 31.

[124] سورة الحجر، الآية: 2.

[125] الكشاف، 3/ 170.

[126] تداخل أزمنة الفعل، ص: 33.

[127] شمر بن عمرو الحنفي، شاعر من شعراء بني حنيفة باليمامة، روى صاحب الأغاني أن شمراً قتل المنذر بن ماء السماء غيلة نحو 564م وكان الحارث بن جبلة الغساني قد بعث إلى المنذر بمائة غلام تحت لواء شمر هذا يسأله الأمان على أن يخرج له من ملكه، ويكون من قبله، فركن المنذر إلى ذلك، وأقام الغلمان معه، فاغتاله شمر، وتفرق من كان مع المنذر، وانتهبوا عسكره. له شعر في الأَصمعيات. انظر: معجم شعراء العرب، المؤلف: تم جمعه من موقع الموسوعة الشعرية، 1/ 1464.

[128] الكتاب لسيبويه، 24/3.

[129] شرح الكتاب لسيبويه، لأبي سعيد السيرافي، 217/3.

[130] سورة البقرة، الآية: 108.

[131] تفسير البيضاوي، 100/1.

[132] حاشية السيالكوتي، ص: 425.

[133] نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي، 102/2، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة.

[134] انظر: روح المعاني، للآلوسي، 354/1. والتفسير البديع معرفة معاني كلام ربنا السميع، لمحمد شريف الله، 1/ 84.

[135] هو الشيخ محمد شريف الله بن الشيخ مولانا عبد الرحيم بن الشيخ مولانا كريم بخش بن الشيخ مولانا شريف الله، ولد سنة 1349هـ الموافق 1927م، في قرية (مولويان) بمدينة رحيم يار خان من إقليم بنجاب باكستان، صنّف كتبا تزيد على العشرة، وأكبرها وأعظمها التفسير "البديع في معرفة معاني كلام ربّنا السميع " باللغة العربية. انظر: منهج الشيخ محمد شريف الله في تفسيره البديع في معرفة معاني كلام ربّنا السميع، للدكتور أحمد حسن – والدكتور عبد القدوس – مجّلة نرجس، العدد: 22 يوليو –ديسمبر 2008م، 99/5.

[136] سورة البقرة، الآية: 165.

[137] تفسير البيضاوي، 1/ 117.

[138] سورة الأعراف، الآية: 44.

[139] حاشية السيالكوتي، ص: 521.

[140] انظر: المحرر الوجيز، 1/ 235. والبحر المحيط 2/ 89.

[141] الجدول في إعراب القرآن وصرفه وبيانه، 1/ 230.

[142] انظر: البحر المحيط، لأبي حيّان الأندلسي، 2/ 89.

[143] انظر: التفسير الوسيط للقرآن الكريم، لمحمد سيد طنطاوي، 275/5، دار نهضة مصر القاهرة، ط1، 1997– 1998م.

[144] انظر: روح المعاني، للآلوسي، 364/4.

[4] حاشية السيالكوتي، ص: 521.

[145] انظر: شرح الرضي على الكافية، للأستراباذي، تصحيح وتعليق: يوسف حسن عمر، 29/4، جامعة قاز يونس بنغاري – ليبيا، ط2.

[147] سوة البقرة، الآية: 90.

[148] الجدول في إعراب القرآن، 195/1.

[149] تفسير البيضاوي، 40/1.

[150] حاشية السيالكوتي، ص: 397.

[151] حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي، الْمُسَمَّاة: عِنَايةُ القَاضِى وكِفَايةُ الرَّاضِى عَلَى تفْسيرِ البَيضَاوي، لشهاب الدين أحمد بن محمد بن عمر الخفاجي المصري الحنفي (المتوفى: 1069هـ) دار صادر – بيروت، ب ط.

[152] التحرير والتنوير، 605/1.

[153] انظر: روح المعاني للآلوسي، 321/1. وإعراب القرآن الكريم: لأحمد عبيد الدعاس– أحمد محمد حميدان – إسماعيل محمود القاسم، دار المنير ودار الفارابي – دمشق، ط1، 1425هـ.

[154] سورة البقرة، الآية: 61.

[155] تفسير البيضاوي، 84/1.

[156] حاشية السيالكوتي، ص: 354.

[157] الكشّاف للزمخشري، 146/1.